النشر الالكتروني - مجلة الحكمة
رقم : ٢٥/٦٤
تاريخ : ١٤٤٧/٠٥/٠٤هـ الموافق ٢٠٢٥/١٠/٢٥م

الآداب الإسلامية من خلال سورة الحجرات
(دراسة موضوعية)

إعداد:
د. سامية بنت عبدالحميد بن محمد الجحدلي
الاستاذ المساعد بقسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في كلية الشريعة والقانون بجامعة جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الحجرات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ
أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ
إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ
(٧) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا
فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا
بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا
نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ
الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ
أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) قَالَتِ
الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ
اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ
أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
(١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺوعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أمابعد..

فإن أشرف ماتصرف فيه الأوقات، وتفنى فيه الأعماركتاب الله تعالى، والعيش مع آياته، وتلاوته، والعمل به، بإمتثال ما أمر الله به، والإنتهاء عما نهى الله عنه، فهو دستور الحياة، وفيه مصالح الآنام في كل زمان ومكان.

وإن القارئ لكتاب الله سبحانه وتعالى قد تستوقفه بعض الآيات أثناء قراءتها، مما يشده الى تفهم مقاصدها وتدبرمعانيها، ومن هداية الله لي بكتابه أنه تم توجيهي لدراسة الآداب التي وردت من خلال سورة الحجرات دراسة موضوعية، واستجابة لما طلب مني فقد أعددت ذلك من خلال مالامسته من تفهم الآيات ودراسة موضوعاتها، وذلك أن سورة الحجرات مدرسة متكاملة،تربى في ضوئها أصحاب النبي محمدﷺفإنها مع قصرها وقلة عدد آياتها جاءات شاملة لأحكام وآداب وأوامر ونواه لاتجدها مجتمعة في سورة سواها،وقد جاءت هذه السورة لتربي الأمة على سمو الأخلاق ،وفضائل الأعمال،وعلو الهمم،كما أنها مدرسة عقدية وتشريعية وتربوية ،لذلك فلا عجب أن ترى أخلاق الجيل الأول هي أخلاق القرآن والتي هي أخلاق إمامنا وقدوتنا محمد ﷺولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ،ورغبة في خدمة كتاب الله بإثراء المكتبة الإسلامية بهذا الموضوع فقد بدأت فيه متوكلة على الله مستعينة بالله اسأل الله أن ينفع بماقدمت ويبقي أثره.

أهمية الموضوع والتي تتثمل فيما يلي:

١- اشتمال سورة الحجرات على أحكام وأداب وأوامر ونواه لاتجدها مجتمعه في سورة سواها.

٢- أهمية الكثير من مضامين الأيات التي هي موضوع بحثي في بناء الشخصية الإسلامية المتفردة والمثمثلة لهذه الأعمال الرائدة في التربية الدينية التي ربى الله بها نبيه محمد ﷺ في كتابه الكريم وتربى عليها صحابته الكرام من بعده.

أهداف البحث:

١- ربط هذه الأيات بالواقع والإستفادة منها ماأمكن.

٢- الوقوف على القضايا التربوية والعقدية والبلاغية ومقاصدها التي تتضمنها الأيات.

٣- إبراز هذه الآداب والتوجيهات الربانية لخير البرية نبينا محمدﷺ والعمل بها.

منهج البحث:

اتبعت منهج الإستقصاء والتحليل[1] -بإعتباره أنسب المناهج لمثل هذه الموضوعات- وذلك بتتبع هذه الآيات من السورة تتبعاًبيانيا وعلمياً؛ وفق معنى الآيات وذكر أقوال العلماء والمفسرين وغيرهم الواردةُ فيها استناداً الى أمهات الكتب من التفاسيروالأحاديث الشريفة ما أمكن ذلك وانطلقت منه الى دراسة الآيات دراسة موضوعية وجعلتها أساساً لها حيث أنه يصعب فهم الفصل الثاني دون استيعاب الفصل الأول إذ هو أصلٌ له بل إنه اشبه بالقاعدة والمثال يصعب فصل أحدهما عن الآخر، ولا أدعي أني أتيت في تفسيرالآيات تحليلياً وموضوعياً بما لم يأتي به اللأولون الذين سبقوني لهذه الدراسة ومن سبقهم من العلماء والمفسرون بل سرت على نهجهم وإنما هو الجمع والإنتقاء والإختصار والتعليق والترجيح ولعلي أنظر من زاوية يفتح الله علي بها ينتفع بها من وصلتهم دراستي هذه راجية المولى أن يتقبلها بقبول حسن.

طريقة البحث:

١- كتابة الآيات بالرسم العثماني كما في مصحف مجمع الملك فهد -رحمه الله- وعزوها الى سورها وأرقامها وتمييز الآيات بين قوسين هكذا ﴿﴾.

٢- تخريج الأحاديث والأثار من المصادر الحديثة ما أمكن ذلك، وإذا كان الحديثُ في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إليه، وإن كان في غيرهما اكتفيت بما صححه الألباني رحمه الله مع ذكر مصدره وتمييز أقوال النبي صلى الله عليه وسلم بين هلالين هكذا ().

٣- صياغة قائمة بجميع المصادر والمراجع التي استفدت منها في كتابة هذا البحث.

٤- ماعدا الأيات والأحاديث من الأقوال المنقولة وضعت بين علامتي تنصيص هكذا ""وما تم إضافته من معاني أخرى أشير اليها بلفظ: انظر مرجع كذا

٥- التعليقات الهامشية التي أضيفها من غير صلب البحث أشير إليها بعلامة (*).

وأما خطة البحث فقد تم بحمد الله تقسيم ماتم جمعه في مقدمة ومبحثين كل مبحث يحتوي على عدة مطالب وخاتمة كما هو مبينٌ على النحو الآتي: -

المقدمة وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومنهج البحث، وخطته، وخاتمة

المبحث الأول دراسة سورة الحجرات دراسة تحليلية "وتضمن خمسة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بسورة الحجرات:

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة.

المطلب الثالث: فضل السورة.

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.

المطلب الخامس: المناسبة بين سورة الحجرات وماقبلها ومابعدها

[1] "أحد مناهج البحث التي يعتمد فيها الباحث على وسائل التعليل والتحليل والتفسير من خلال كتب التفسير وعلوم القرآن "

المبحث الثاني: دراسة سورة الحجرات دراسة موضوعية:

وهذا هو صلب البحث وجوهره وماعداه مكملاً له، وتضمن ستة مطالب:

المطلب الأول: التقدم بين يدي الله ورسوله والأمر بالتأدب معه.

المطلب الثاني: التثبت في الأخبار.

المطلب الثالث: الإصلاح بين المؤمنين والمقاتلين وقتال البغاة.

المطلب الرابع: الأخوة الإسلامية.

المطلب الخامس: أخلاق وأداب التعامل مع المسلمين، وفيه:

أولاً: النهي عن السخرية والنهي عن اللمز والتنابز في الألقاب.

ثانياً: النهي عن الظن السيء بالمؤمنين.

ثالثاً: النهي عن التجسس.

رابعاً: النهي عن الغيبة.

المطلب السادس: المنّة لله –عزّ وجلّ– في هداية الخلق وليس لأحد منّة على رسول الله ﷺ، لكونه دخل الإسلام وصار مسلمًا.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها خلال هذا البحث ثم التوصيات التي ستخدم غرض البحث.

وفي الختام أحمدالله وأشكره أولاً وآخراً،فله جلا وعلا الحمد والشكر كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه كما أسأله سبحانه أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجههِ الكريم صواباً مقبولاً عنده سبحانه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه آجمعين تسليماً كثيراً الى يوم الدين.

(المبحث الأول)

بين يدي سورة الحجرات

وتضمن خمسة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بسورة الحجرات.

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة.

المطلب الثالث: فضل السورة.

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.

المطلب الخامس: المناسبة بين سورة الحجرات وماقبلها ومابعدها

المطلب الأول: التعريف بسورة الحجرات:

أولاً/"أسماؤها: اسمها التوقيفي الذي اشتهرت به "سورة الحجرات" وهو اسمها الوحيد ولم تعرف بغيره وتوصف بسورة (الأداب والأخلاق).

ثانياً/ دلالة اسمها بهذا الاسم: سميت سورة الحجرات بهذا الاسم في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة وقد وردت عن بعض أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، ودلالة اسمها واضحة بما دلت عليه آيتها، من ذم المنادين والتلويح لهم إلى الإقبال على ما يُحصِّل .المغفرة، بأنهم قد ارتكبوا ما كانوا به من المذنبين فانفردت السورة بذكر حادثة (الحجرات*[1]) ودلالة هذا الاسم على المقصد العام.

قال المهايميّ[2] *في محاسن التأويل: سميت بها لدلالة آيتها على سلب إنسانية من لا يعظم رسول الله غاية التعظيم، ولا يحترمه غاية " .الاحترام. وهو من أعظم مقاصد القرآن.

ثالثاً/ مقصدها العام: توقير النبي – ﷺ–وتقرير أخلاق المجتمع الإسلامي والتحذير من الأخلاق السيئة[3].

رابعاً/ نوعها من حيث المكي والمدني: مدنية بالإجماع ودليل ذلك يتبين لنا لاحقا من خلال ذكر موضوعات السورة وأساليبها.

خامساً/ عدد آياتها: ثماني عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف وليس فيها مما يشبه الفواصل شيء قاله الداني

سادساً/ترتيبها في النزول: تُعد السابعة بعد المائة على المشهور، ونزلت بعد سورة المجادلة، وقبل سورة التحريم" [4].

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة.

وردت عدة أسباب لنزول آيات السورة وأولها مانزل في وفد بني تميم، وسيأتي ذكر ماورد فيها عند تفسير الآيات في مواضعها.

المطلب الثالث: فضل السورة.

لم يثبت فضلٌ خاص لهذه السورة الكريمة، ولكنها من المثاني الذي قال فيه رسول الله ﷺأُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المئين، وأُعطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمفصَّلِ.[1]

---

[1] والحُجرات هي بيوت أمهات المؤمنين زوجات رسول الله، وكنّ تسع نساء، ولكلّ واحدةٍ منهنّ حجرة، وقد كان النداء من وراء الحجرات يُؤذي رسول الله؛ إذ أنّ فيه تعدّي على حُرمة بيوته.[٣] وهبة الزحيلي، التفسير المنير للزحيلي، صفحة ٢١١. بتصرّف.

[2] «هو علي بن أحمد بن علي المهايمي ويقال المهائمي، توفي سنة (٨٣٥هـ) وهو رجل هندي، كنيته أبو الحسن علاء الدين، ويعرف بلقب: المخدوم؛ لأنه يكثر ذكره في تضاعيف التفسير، فلذلك نذكر عنه هذه الثغرة، قال الطبري: هم طائفة من قريش خرجوا من المدينة خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي، فبلغوا ساحل الهند، وسكنوا فيه وهو باحث مفسر، وللأسف الشديد كان يقول بوحدة الوجود! وولد وتوفي في الهند في مكان اسمه مهائم، وذلك نسب المهايمي.
وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن في مجلدين، ولعله هو الذي يستقي منه القاسمي دائماً «تفسير القرآن الكريم - المقدم» (٦٩/ ٩ بترقيم الشاملة آليا)

[3] المختصر في تفسير القرآن الكريم - ص٥١٥ - جمع من العلماء

[4] ينظر «البيان في عد آي القرآن» (ص٢٣٠) ت(٤٤٤هـ) «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٣٠٠) ت (٦٧١هـ)، «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» (٣/ ٦) ت(٨٨٥هـ) «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٦٩) ت(١٢٥٠هـ)

[1] الراوي: واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة، المحدث: الألباني، المصدر: بداية السول، الصفحة أو الرقم: ٥٩، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

المطلب الرابع: أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.

اشتملت سورة الحجرات على الكثير من الموضوعات المُتعلّقة بالأخلاق والآداب، وفيما يأتي ذكر لأبرز هذه الموضوعات:

- الحثّ على أدب الخطاب وخصوصًا مع رسول الله -ﷺ- حيث قال الله -عزّ وجلّ- في مطلعها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُون (٢)﴾ الحجرات
- إرشاد المؤمنين إلى ضرورة التبيّن والتحقّق عند سماع الأخبار.
- الترغيب بالصُلح وإصلاح ذات البين عند الاقتتال والنزاع.
- النهي عمّا يُسبب الشحناء ويؤدّي إلى البغضاء من اللمز والسُخرية والتنابز بالألقاب.
- المنّة لله -عزّ وجلّ- في هداية الخلق وليس لأحد منّة على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لكونه دخل الإسلام وصار مسلمًا"[1]

المطلب الخامس: المناسبة بين سورة الحجرات وماقبلها ومابعدها:

- **مناسبة سورة الحجرات لسورة الفتح التي تسبقها في ترتيب المصحف يظهر من عدة وجوه:**

الوجه الأول: "لكونهما مدنيتين ومشتملتين على أحكام.

الوجه الثاني: تلك فيها قتال الكفار وهذه فيها قتال البغاة.

الوجه الثالث: تلك ختمت بالذين آمنوا وهذه افتتحت بالذين آمنوا.

الوجه الرابع: تلك تضمنت تشريفات له صلّى الله عليه وسلّم خصوصا مطلعها وهذه أيضا في مطلعها أنواع من التشريف له عليه الصلاة والسلام.

الوجه الخامس: "وذكر أبو حيان مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهر لأنه عز وجل ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ثم قال سبحانه وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ [الفتح: ٢٩] إلخ فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي أن ينهى عنه فقال جل وعلا تعليما للمؤمنين وتهذيبا لهم"[2].

الوجه السادس: "وورد في البرهان لما وصف سبحانه عباده المصطفين من صحابة نبيه والمخصوصين بفضيلةمشاهدته وكريم عشرته فقال: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم فأثنى سبحانه عليهم وذكر وصفه تعالى لهم بذلك في التوراة والإنجيل، وهذه خصيصة انفردوا بمزية تكريمها وجرت على واضح قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾

(آل عمران: ١١٥) وشهدت لهم بعظيم المنزلة لديه، ناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب الإيمانية (والجري قولا وفعلا وعملا ظاهرا وباطنا على أوضح عمل وأخلص نية، وتنزيههم عما وقع من قبلهم في مخاطبات أنبيائهم كقول بني إسرائيل: "يا موسى ادع لنا ربك

---

[1] ، كتاب الموسوعة القرآنية خصائص السور جعفر شرف الدين، صفحة ٢٢٥-٢٢٧. بتصرّف

[2] البحر المحيط (ت ٧٤٥هـ) (٩/ ٥٠٦)

"إلى ما شهد من هذا الضرب بسوء حالهم فقال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ الحجرات .... الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول﴾ إلى قوله ﴿والله غفور رحيم﴾ الحجرات"[1].

❖ **مناسبة سورة الحجرات لسورة ق التي بعدها في ترتيب المصحف يظهر ذلك من وجهين:**

الوجه الأول: "لما كانت سورة الحجرات قد انطوت على جملة من الألطاف التى خص بها تعالى عباده المؤمنين كذكره تعالى أخوتهم وأمرهم بالتثبت عند غائلة معتد فاسق "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ.. الآية " وأمرهم بغض الأصوات عند نبيهم وأن لا يقدموا بين يديه وأن لا يعاملوه في الجهر بالقول كمعاملة بعضهم بعضا،

وأمرهم باجتناب كثير من الظن ونهيهم عن التجسس والغيبة وأمرهم بالتواضع في قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى"، وأخبرهم تعالى أن استجابتهم، وامتثال هذه الأوامر ليست بحولهم ولكن بفضله وإنعامه فقال:

ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان.... الآية " ثم أعقب تعالى بقوله: "يمنون عليك أن أسلموا.... الآية "

ليبين أن ذلك كله بيده ومن عنده، أراهم سبحانه حال من قضى عليه الكفر ولم يحبب إليه الإيمان ولا زينه في قلبه، بل جعله في طرف من حال من أمر ونهي في سورة الحجرات، مع المساواة في الخلق وتماثل الذوات" فقال تعالى: في سورة ق "والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم.... الآيات"[2]

الوجه الثاني: ثم ذكر سبحانه وضوح الأدلة "أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم ... الآيات "ثم ذكر حال غيرهم ممن كان على رأيهم "كذبت قبلهم قوم نوح "

ليتذكر مجموع هذا من قدم ذكر حاله وأمره ونهيه في سورة الحجرات وليتأدب المؤمن بآداب الله ويعلم أن ما أصابه من الخير فإنما هو من فضل ربه وإحسانه، ثم التحمت الآي إلى قوله خاتمة السورة (نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (٤٥)

الوجه الثالث: لَمَّا جَاءَ فِي أَوَاخِرِ (الحُجُرَاتِ) صِفَةُ المؤْمِنِ الَّذِيْ لا يَرْتَابُ فِي دِينِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ...١٥﴾، افْتُتِحَتْ (قٓ) بِذِكْرِ نَقِيضِهِمْ مِمَّنِ ارْتَابَ فِي دِينِهِ، فَقَالَ: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢﴾."[3]

---

[1] الغرناطي، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ)(٣١٢ص)

[2] ينظر= «البرهان فى تناسب سور القرآن للغرناطي ت(٧٠٨هـ» (ص٣١٤) «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي (ت ٨٨٥هـ)» (٣/ ٥) «تفسير الألوسي = روح المعاني ت(١٢٧٠هـ)» (١٣/ ٢٨٤)

[3] المرجع السابق.

(المبحث الثاني)

دراسة سورة الحجرات دراسة موضوعية

وتضمن ستة مطالب:

المطلب الأول: التقدم بين يدي الله ورسوله والأمر بالتأدب معه.

المطلب الثاني: التثبت في الأخبار.

المطلب الثالث: الإصلاح بين المؤمنين والمقاتلين وقتال البغاة.

المطلب الرابع: الأخوةالإسلامية.

المطلب الخامس: أخلاق وأداب التعامل مع المسلمين، وفيه:

أولًا: النهي عن السخرية والنهي عن اللمز والتنابز في الألقاب.

ثانيًا: النهي عن الظن السيء بالمؤمنين..

ثالثًا: النهي عن التجسس

رابعًا: النهي عن الغيبة.

المطلب السادس: المنّة لله -عزّ وجلّ- في هداية الخلق وليس لأحد منّة على رسول الله -ﷺ- لكونه دخل الإسلام وصار مسلمًا.

المطلب الأول: التقدم بين يدي الله ورسوله والأمر بالتأدب معه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) »

➢سبب النزول للآيات:

أخرج البخاري وأحمد والترمذي والنَّسَائِي عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر، لما قدم على النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي، فقال عمر: ما أَردت خلافك، فارتفعت أصواتهما عند النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فنزلت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) إلى قوله: (عَظِيمٌ).

قال ابن أبي مليكة: قال ابن الزبير: فكان عمر بعدُ – ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني – أبا بكر – إذا حدث النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بحديث، حدثه كأخي السرار، لم يسمعه حتى يستفهمه"[١]

➢المعنى الإجمالي للآيات:

﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)﴾ قيل: معناها أي: لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله، والمراد: لا تسبقوا الله ورسوله بقولٍ أو بفعل. وقيل: المعنى لا تقدموا شيئاً بين يدي الله ورسوله. وكلاهما يصبان في مصب واحد، والمعنى: لا تسبقوا الله ورسوله بقولٍ ولا فعلٍ، وقد وقع لذلك أمثلة، فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين»[٢]

لأن الذي يتقدم رمضان بصوم يوم أو يومين كأنه تقدم بين يدي الله ورسوله، فبدأ بالصوم قبل أن يحين وقته، ولهذا قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: «من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ»[٣]. ومن التقدُّم بين يدي الله ورسوله البدع بجميع أنواعها، فإنها تقدم بين يدي الله ورسوله؛ بل هي أشد التقدم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، وإياكم ومحدثات الأمور). وأخبر بأن «كل بدعة ضلالة)[٤]

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)﴾** الحجرات٢.

---

[١] «المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة للمزيني» (٢/ ٩١١)

[٢] «تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد» (ص١١)

[٣] الألباني (ت ١٤٢٠)، هداية الرواة ١٩١٨ • صحيح

[٤] أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧) والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) وابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (٤٢). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

مناسبة الآية الأولى للثانية. الآية الأولى فيها النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله في أي شيء، سواء من الأقوال أو الأفعال أو غيرها، أما هذه الآية فهي في رفع الصوت وإن لم يكن هناك تقدم في الأحكام من تحليل أو تحريم أو إيجاب، يقول الله – عز وجل – : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ فإذا خاطبك النبي صلى الله عليه وسلم بصوت فاخفض صوتك عن صوته، وإذا رفع صوته فارفع صوتك لكن لابد أن يكون دون صوت الرسول – عليه الصلاة والسلام – ولهذا قال: ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ يعني لا تنادونه بصوت مرتفع، كما ينادي بعضكم بعضاً، بل يكون جهراً بأدب وتشريف وتعظيم، يليق به صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذا كقوله: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾.(النور٦٣)، يعني إذا دعاكم لشيء فلا تجعلوا دعاءه كدعاء بعضكم لبعض، إن شئتم أجبتم وإن شئتم فلا تجيبوا، بل يجب عليكم الإجابة، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال٢٤)[١].

وهنا قال: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)﴾ (الحجرات)، كذلك أيضاً لا تنادونه بما تتنادون به، فلا تقولون: يا محمد، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وما أشبه ذلك.[٢]

﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)﴾ (الحجرات)، يعني كراهة أن تحبط أعمالكم، والمعنى إنما نهيناكم عن رفع الصوت فوق صوته، وعن الجهر له بالقول كجهر بعضكم لبعض كراهة أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون[٣].

ثم مدح من غض صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن الله امتحن قلوبهم للتقوى، أي: ابتلاها واختبرها، فظهرت نتيجة ذلك، بأن صلحت قلوبهم للتقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم، المتضمنة لزوال الشر والمكروه، والأجر العظيم، الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى، فقال :إن الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله، وأصل الغض: الكف في لين ومنه: غض البصر"[٤]وقد بين تعالى أن توقيره واحترامه – صلى الله عليه وسلم – بغض الصوت عنده لا يكون إلا من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أي أخلصها لها، وأن لهم بذلك عند الله المغفرة والأجر العظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٣) الحجرات»[٥]

❖ توضح لنا هذه الآيات كيفية الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن معاني هذه الآيات نستطيع أن نخرج ببعض الآداب التي أُمرنا أن نلتزم بها:

➢ هدايات وفوائد الآيات:

■ يقول ابن العثيمين –رحمه الله–اعلم أن الله تعالى إذا ابتدأ الخطاب بقوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم} فإنه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إما خير تُؤمر به، وإما شر تنهى عنه، فأرعه سمعك، واستمع إليه لما فيه من الخير[٦].

---

[١] «تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد» (ص١١)
[٢] «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٧/ ٦٦٠ ط عطاءات العلم)
[٣] المرجع السابق.
[٤] «تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر(٣١٠هـ)» (٢١/ ٣٤٣)
[٥] «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ت ١٣٧٦هـ)» (ص٧٩٩):«أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٣٩٣ هـ)» (٧/ ٦٦٠ ط عطاءات العلم)
[٦] «تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ت ١٤٢١ هـ)» (ص١١)

■ تصدير الخطاب بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدل على أن التزام ماخوطب به: من مقتضيات الإيمان، وأن مخالفته نقص في الإيمان[1].

■ من التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله أن يقول الإنسان قولاً يُحكم به بين عباد الله أو في عباد الله، وليس من شريعة الله، مثل أن يقول: هذا حرام، أو هذا حلال، أو هذا واجب، أو هذا مستحب بدون دليل، فإن هذا من التقدم بين يدي الله ورسوله، وعلى من قال قولاً وتبين له أنه أخطأ فيه أن يرجع إلى الحق حتى لو شاع القول بين الناس وانتشر وعَمِلَ به مَن عمل من الناس، فالواجب عليه أن يرجع وأن يُعلن رجوعه أيضاً، كما أعلن مخالفته الت قد يكون معذوراًفيها إذا كانت صادرة عن اجتهاد، فالواجب الرجوع إلى الحق، فإن تمادى الإنسان في مخالفة الحق فقد تقدم بين يدي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم»"[2]

■ ﴿واتقوا الله﴾ هذا تعميم بعد تخصيص؛ لأن التقدم بين يدي الله ورسوله مخالف للتقوى، لكن نص عليه وقدمه لأهميته.

■ دلت الأية الأولى على إثبات اسمين كريمين لله تعالى في قوله ﴿إن الله سميع عليم﴾ وهذه الجملة تحذير لنا أن نقع فيما نهانا عنه من التقدُّم بين يدي الله ورسوله، أو أن نخالف ما أمر به من تقواه {سميع} أي سميع لما تقولون {عليم} أي عليم بما تقولون وما تفعلون؛ لأن العلم أشمل وأعم، إذ إن السمع يتعلق بالمسموعات، والعلم يتعلق بالمعلومات، والله تعالى محيط بكل شيء علماً، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء»

■ المراد في الآيات أن النهي هنا وقع عن أمور: الأول: عن التقدم بين يديه بما لا يأذن به من الكلام.

والثاني: عن رفع الصوت البالغ إلى حد يكون فوق صوته، سواء كان في خطابه أو في خطاب غيره.

والثالث: ترك الجفاء في مخاطبته ولزوم الأدب في مجاورته لأن المقاولة المجهورة إنما تكون بين الأكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره»[3]

■ وقال السعدي: "وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول على ﷺ؛ فإنه متى استبانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب اتباعها وتقديمها على غيرهاكائنًا ما كان"[4].

■ دلت الآيات المحكمات تعظيم ربنا بامتثال أمره واجتناب نهيه، وإخلاص العبادة له، وتعظيم نبينا ﷺ- باتباعه والاقتداء به في تعظيم الله والإخلاص له والاقتداء به في كل ما جاء به، وألا نخالفه صلى الله عليه وسلم ولا نعصيه، وألا نفعل شيئًا يشعر بعدم التعظيم والاحترام، كرفع الأصوات قرب قبره – صلى الله عليه وسلم»[5]

■ اعلم أن عدم احترام النبي – صلى الله عليه وسلم – المشعر بالغض منه أو تنقيصه ﷺ- والاستخفاف به أو الاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله.

■ اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته، التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه، كحق النبي – ﷺ-، ليضع كل شيء في موضعه كخصائص الربوبية لله وحد»[6]

---

[1] المرجع السابق (ص١٢)
[2] المرجع السابق)
[3] «فتح القدير للشوكاني(١٢٧٠هـ)» (٥/ ٧٠)
[4] «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ت ١٣٧٦هـ)» (ص٧٩٩)
[5] «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٧/ ٦٦١ ط عطاءات العلم)
[6] «المرجع السابق (٧/ ٦٥٤ ط عطاءات العلم):

■ قال اللهُ تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى في هذه الآيةِ إشارةٌ إلى أنَّ الصَّلاحَ صَلاحُ القلْبِ؛ لقولِه: امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى[1]، وكما قال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في الحديثِ الصَّحيحِ: (التَّقوى هاهنا. ويُشيرُ إلى صَدْرِه)[2]

[1] يُنظر: تفسير ابن عثيمين: سورة الحجرات - الحديد (ص: ٢٠).
[2] أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديثِ أبي هُرَيرةَ رضيَ الله عنه.

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾

➢سبب النزول للآيات:

«ذكر بعض المفسرين الحديث بنصه كالطبري والقرطبي وابن كثير، وبعضهم ذكر أحاديث مشابهة كالبغوي وابن عطية وابن عاشور.

قال الطبري: (وذُكر أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في قوم من الأعراب جاؤوا ينادون رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من وراء حجراته: يا محمد اخرج إلينا) اهـ.

قال ابن كثير (وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فيما أورده غير واحد) اهـ.

قال ابن عطية: (نزلت في وفد بني تميم حيث كان الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وغيرهم وذلك أنهم وفدوا على رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فدخلوا المسجد ودنوا من حجر أزواج النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهي تسعة فنادوا بجملتهم ولم ينتظروا: يا محمد اخرج إلينا فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير) اهـ.

وقال ابن عاشور: (والمراد بالذين ينادون النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من وراء الحجرات جماعة من وفد بني تميم جاؤوا المدينة في سنة تسع وهي سنة الوفود وكانوا سبعين رجلاً أو أكثر)[1] اهـ.

قال السعدي: (نزلت هذه الآيات الكريمة في ناس من الأعراب الذين وصفهم الله بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، قدموا وافدين على رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فوجدوه في بيته وحجرات نسائه فلم يصبرواويتأدبوا حتى يخرج بل نادوه: يا محمد يا محمد. أي اخرج إلينافذمهم الله بعدم العقل حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه) اهـ»[2]

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية. وقد ذكر جمهور المفسرين هذا الحديث في سبب نزولها كالطبري والبغوي وابن العربي وابن عطية والقرطبي وابن كثير والشنقيطي وابن عاشور، وقال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾

- **وهذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي – ﷺ– فوق صوته، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –) اهـ.**
- **قال الشنقيطي: هذه الآية الكريمة عَلَّمَ الله فيها المؤمنين أن يعظموا النبي – ﷺ– ويحترموه ويوقروه، فنهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته وعن أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض) اهـ»[3]**

[1] «المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة للمزيني» (٢/ ٩١٥)
[2] «المرجع السابق (٢/ ٩١٥)
[3] «المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة للمزيني» (٢/ ٩١٥)

➢مناسبة الآيات لما قبلها:

- "لما نهى سبحانه عن الإخلال بالأدب، وأمر بالمحافظة على التعظيم، وذكر وصف المطيع، أتبع ذلك على سبيل النتيجة وصف من أخل به، فقال مؤكداً لأجل أن حالهم كان حال من يدع عقلاً تاماً: {إن الذين ينادونك}.
- ولما ذمهم بسوء عملهم، أرشدهم إلى ما يمدحون به من حسنه فقال: {ولو أنهم صبروا}.
- ولما كان العرب أهل معال فهم بحيث لا يرضون إلا الأحسن فقال: {خيراً لهم} أي من استعجالهم"[1]

➢المعنى الإجمالي للآيات:

"أي أكثرهم لا يعقلون لغلبة الجهل عليهم وكثرة الجفاء في طباعهم ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم أي: لو انتظروا خروجك، ولم يعجلوا بالمناداة، لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم، لما في ذلك من رعاية حسن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورعاية جانبه الشريف والعمل بما يستحقه من التعظيم والتبجيل. وقيل: إنهم جاءوا شفعاء في أسارى، فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم، ولو صبروا لأعتق الجميع، ذكر معناه مقاتل"[2]

«قال المفسرون: وإنما نادَوا من وراء الحُجرات، لأنهم لم يعلموا في أيّ الحُجَر رسولُ الله.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾قال الزجاج: أي: لكان الصَّبر خيراً لهم، وفي وجه كونه خيراً لهم قولان: أحدهما: لكان خيراً لهم فيما قَدِموا له من فداء ذراريهم، فلو صَبَروا خلَّى سبيلهم بغير فداءٍ، قاله مقاتل.

والثاني: لكان أحسنَ لآدابهم في طاعة الله ورسوله، ذكره الماوردي. قوله تعالى: وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ أي: لمن تاب منهم»[3]

➢ هدايات وفوائد الآيات:

- فيها دَليلٌ أنَّ على النَّاسِ –وإنْ تواضَعَ لهم إمامُهم، وغَضَّ لهم جَناحَه– أنْ يُوَقِّروه، ولا يُنْزِلوه مِن أنْفُسِهم مَنزِلةَ بَعضِهم مِن بَعضٍ، وأنْ يَنتظِروه لحَوائجِهم –وإنْ رَفَعَ حِجابَه– حتَّى يَخرُجَ إليهم.
- قولُ اللهُ تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ تأْديبٌ لهم، وتَعليمُهم مَحاسِنَ الأخلاقِ، وإزالةٌ لِعَوائدِ الجاهليَّةِ الذَّميمةِ، فأدَبُ العبدِ عُنوانُ عقْلِه، وأنَّ اللهَ مُريدٌ به الخيرَ.[4].
- قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ، أي: الَّذي يَتلقَّى عن اللهِ، وتلَقِّيه عنه مُتوقَّعٌ في كلِّ وقتٍ، وهذا يدُلُّ على أنَّ أذى العُلماءِ –الَّذين هيَّأهم اللهُ لتَلقِّي فَهْمِ دِينِه عنه– شديدٌ جدًّا؛ فإنَّ تَكديرَ أوقاتِهم يَمنَعُهم عن كثيرٍ مِن ذلك[5]
- قولُه: مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ مُناداةُ مَن نادَوْه مِن وَرائِها يَحتمِلُ أنَّهم قد تَفرَّقوا على الحُجراتِ مُتطلِّبينَ له، فناداهُ بعضٌ مِن وَراءِ هذه، وبعضٌ مِن وَراءِ تلك؛ فأُسنِدَ فِعلُ الأبعاضِ إلى الكلِّ. أو أنَّهم قد أَتَوها حُجرةً حُجرةً، فنادَوه مِن وَرائِها. أو أنَّهم نادَوه

---

[1] «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ت(٨٨٥هـ)» (١٨/ ٣٥٩)
[2] ينظر= «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٣١٠): «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٧١)
[3] «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ١٤٥)
[4] يُنظر: تفسير السعدي (ص: ٧٩٩).
[5] يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٣٥٦/١٨).

مِن وَراءِ الحُجْرةِ الَّتي كان فيها، ولكنَّها جُمِعَت الْحُجُرَاتِ إجلالًا لرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولِمَكانِ حُرمَتِه، كأنَّ الجَمْعَ يُبطِلُ خُصوصيَّةَ حُجرةٍ دونَ حُجرةٍ .

- وإنَّما ذُكِرَ الْحُجُرَاتِ دونَ البُيوتِ؛ لأنَّ البَيتَ كان بيتًا واحدًا مُقسَّمًا إلى حُجُراتٍ تسْعٍ."[1]
- قولُه تعالَى: وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
- – قال تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حتى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ} أيْ وَلَوْ تحققَ صبرُهُم وانتظارُهُم حتَّى تخرجَ إليهمْ فإنَّ أَنَّ وَإِنْ دلت بَما في حيزهَا عَلى المصدرِ لكِنَّها تفيدُ بنفسِها التحققَ والثبوتَ فإنَّها عامَّةٌ وفي إليهمْ إشعارٌ بأنَّه لوْ خرجَ لَا لأجلِهم ينبغِي أَنْ يصبرُوا حَتَّى يفاتحهَم بالكلامِ أوْ يتوجَّهَ إليهِم {لَكَانَ} أي الصبرُ المذكورُ {خَيْراً لَّهُمْ} منِ الاستعجالِ لِما فيهِ منْ رعايةِ حُسنِ الأدبِ وتعظيمِ الرسولِ الموجبَينِ للثناء والثوابُ[2]
- وفي تَعقيبِ هذا اللَّومِ بقَولِه: وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ إشارةٌ إلى أنَّه تعالى لم يُحْصِ عليهم ذَنْبًا فيما فعَلوا، ولا عرَّضَ لهم بتَوبةٍ، والمعْنى: واللهُ شأنُه التَّجاوُزُ عن مِثلِ ذلك رَحمةً بالنَّاسِ؛ لأنَّ القَومَ كانوا جاهِلينَ [3] .

[1] يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٧/٢٦).
[2] تفسير أبي السعود (١١٨/٨).
[3] يُنظر: تفسير ابن عاشور (٢٢٧/٢٦). قال ابن عُثَيمين: (في قوله: وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ إشارةٌ إلى أنَّ الله غفَر لهم ورحِمَهم، وهذا مِن كرَمِه جلَّ وعلا؛ أنَّه يَغفِرُ ويَرحَمُ). ((تفسير ابن عثيمين: سورة الحجرات - الحديد)) (ص: ٢١).

المطلب الثاني: التثبت في الأخبار.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾

➢مناسبة الآيات لما قبلها:

- " ولما نهى سبحانه ما أراد من النهي عن أذى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفسه، وكان من ذلك أذاه في أمته، فإنه عزيز عليه ما عنتوا وكان من آذاه فيهم فاسقاً
- ولما أرشد السياق إلى متابعتهم على هذا الوجه، أنتج قوله مادحاً لهم ثانياً الكلام عن خطابهم إلى خطابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدل على عظم هذه الأوصاف وبينه بأداة البعد على علو مقام المتصف: {أولئك} أي الذين أعلى الله القادر على كل شيء مقاديرهم {هم} أي خاصة {الراشدون}"[1]

➢سبب النزول للآيات:

«أخرج الإمام أحمد عن عيسى ابن دينار قال: حدثنا أبي أنه سمع الحارث بن أبي ضرارٍ الخزاعي، قال: قدمت على رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فدعاني إلى الإسلام، فدخلتُ فيه وأقررتُ به، فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول اللَّه أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعتُ زكاته فيُرسل إليَّ رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رسولاً لإبّان كذا وكذا ليأتيك ما جمعتُ من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول، فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ورسوله، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان وقّت لي وقتًا يُرسل إليَّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطةٍ كانت فانطلقوا فنأتي رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وبعث رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع فأتى رسول اللَّه ﷺ وقال: يا رسول اللَّه إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذا استقبل البعث وفصل من المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث. فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺقال: (منعت الزكاة وأردت قتل رسولي) قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيتُه ولا أتاني، وما أقبلتُ إلا حين احتبس عليَّ رسولُ رسولِ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، خشيت أن تكون كانت سخطةً من الله – عَزَّ وَجَلَّ – ورسوله. قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ إلى هذا المكان ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[1] «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ت(٨٨٥هـ)» (١٨/ ٣٦٣)

وقال الشنقيطي: (نزلت هذه الآية الكريمة في الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقد أرسله النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى بني المصطلق من خزاعة ليأتيهم بصدقات أموالهم. فلما سمعوا به تلقوه فرحاً به، فخاف منهم وظن أنهم يريدون قتله فرجع إلى نبي الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وزعم له أنهم منعوا الصدقة وأرادوا قتله، فقدم وفد منهم إلى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فأخبروه بكذب الوليد فأنزل الله هذه الآية). اهـ.

وقال ابن عاشور: (وقد تضافرت الروايات عند المفسرين عن أم سلمة وابن عبَّاسٍ والحارث بن ضرار الخزاعي أن هذه الآية نزلت عن سبب قضية حدثت وذلك أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق من خزاعة). اهـ.

* ورجح المزيني: أن الحديث المذكور وإن كان في إسناده مقال، إلا أن شهرته فاقت إسناده واحتج به المفسرون أجمع ولفظه يوافق سياق القرآن، فلعل الحديث لهذه الأسباب يكون سبب نزولها»[1]

➢المعنى الإجمالي للآيات:

إن تناقل الأخبار آفة المجتمعات، فقد يكون بعضها إشاعة، أو كذبا، وقد يكون هناك كثير من المبالغة في الخبر وتضخيمه، وغالبا ما يكون نقل الخبر بحاجة ماسة إلى الدقة في النقل، وضبط اللفظ، وفهم المراد، وتأويل المسموع، لذا كان لا بد من الكتابة أو التدوين أو التسجيل ليكون الخبر صحيحا أو مطابقا للواقع، وقد يكون الخبر كله ملفقا أو موضوعا لدوافع سياسية أو مناصرة اتجاه معين أو لبذر بذور الفرقة، وتأجيج نار الخلاف بين الناس، الأقارب أو الأباعد، لذا أوجب القرآن التثبت من الأخبار، تحقيقا للمصلحة العامة أو الخاصة، ومنعا من إيقاع الفتنة، وزرع الفرقة وإيقاع الفتنة على جهالة "[2]

والمراد بقوله ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾: أن يجهل حال القوم، فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ من إِصابتهم بالخطأ نادِمِينَ. ثم خوَّفهم فقال ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي إن كَذَبتموه أَخبره اللهُ فافتُضِحْتُم، ثم قال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي ممّا تخبرونه فيه بالباطل لَعَنِتُّمْ أي لَوَقَعْتُم في عَنَتٍ.

قال ابن قتيبة: وهو الضَّرر والفساد. وقال غيره: هو الإثم والهلاك، وذلك أن المسلمين لما سَمِعوا أن أولئك القوم قد كَفَروا قالوا: ابْعَثْ إليهم يا رسولَ الله واغْزُهم واقْتُلهم[3].

ثم خاطب المؤمنين فقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ الى قوله ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾، ثم عاد إلى الخبر عنهم فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي: المهتدون إلى محاسن الأُمور، فَضْلًا مِنَ اللَّهِ قال الزجاج: المعنى: ففعل بكم ذلك فضلاً، أي: للفضل والنّعمة»[4]

وقال الشوكاني: والمراد بهؤلاء من عدا الأولين لبيان براءتهم عن أوصاف الأولين، والظاهر: أنه تذكير للكل بما يقتضيه الإيمان وتوجبه محبته التي جعلها الله في قلوبهم وزينه في قلوبكم أي: حسنه بتوفيقه حتى جروا على ما يقتضيه في الأقوال والأفعال وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أي جعل كل ما هو من جنس الفسوق ومن جنس العصيان مكروها عندكم. "[5]

---

[1] «المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة للمزيني» (٢/ ٩١٧-٩١٨)
[2] «التفسير الوسيط - الزحيلي» (٣/ ٢٤٧١)
[3] «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٣١٤)
[4] «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ١٤٦)
[5] «فتح القدير= بتصرف » (٥/ ٧١):

➢ هدايات وفوائد الآيات:

- قولُ اللهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾، فيه إشارةٌ إلى لَطيفةٍ؛ وهي أنَّ المؤمنَ كان مَوصوفًا بأنَّه شَديدٌ على الكافرِ، غليظٌ عليه، فلا يَتمكَّنُ الفاسِقُ مِن أنْ يُخبِرَه بنَبأٍ، فإنْ تَمكَّنَ منه يكونُ نادرًا.[1]

- "دلت الآيات على أنه سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق وتكذيبه وشهادته جملة. وإنما أمر بالتبين. فإن قامت قرائن وأدلة من خارج تدل على صدقه عمل بدليل الصدق، ولو أخبر به من أخبر.

فهكذا ينبغي الاعتماد في رواية الفاسق وشهادته. وكثير من الفاسقين يصدقون في أخبارهم ورواياتهم وشهاداتهم، بل كثير منهم يتحرى الصدق غاية التحري، وفسقه من جهات أخر. فمثل هذا لا يرد خبره ولا شهادته، ولو ردت شهادة مثل هذا وروايته لتعطلت أكثر الحقوق، وبطل كثير من الأخبار الصحيحة"[2]

- وذكر القرطبي في تفسيره خلاف ذلك حيث قال: "في هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلا، لأنه إنما أمر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق. ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعا، لأن الخبر أمانة والفسق قرينة يبطلها"[3]

- "وفي هذه الآية دليل على أنه يجب على الإنسان أن يتثبت فيما ينقل من الأخبار ولا سيما مع الهوى والتعصب، فإذا جاءك خبر عن شخص وأنت لم تثق بقول المخبر فيجب أن تتثبت، وألا تتسرع في الحكم؛ لأنك ربما تتسرع وتبني على هذا الخبر الكاذب فتندم فيما بعد"[4]

- وفي الأية دلالة على أن التبين بأحد شيئين: بمراجعة النبي ﷺإن كان حاضراً، وبمراجعة آثاره من كتاب الله وسنته إلى أن تبين الأمر منهما إن كان غائباً"[5].

---

[1] مفاتيح الغيب تفسير الرازي= بتصرف (٩٨/٢٨).
[2] «التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم» (ص٤٧٩)
[3] «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٣١٢)
[4] «تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد» (ص٢٦)
[5] «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ت(٨٨٥هـ)» (١٨/ ٣٦٤)

- **المطلب الثالث: الإصلاح بين المؤمنين والمقاتلين وقتال البغاة.**

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩)﴾

➢مناسبة الآيات لما قبلها:

"لما كانت النميمة ونقل الأخبار الباطلة الذميمة ربما جرت فتناً وأوصلت إلى القتال، وكان العليم الحكيم لا ينصب سبباً إلا ذكر مسببه وأشار إلى دوائه، وكان لا ينهى عن الشيء إلا من كان متهيئاً له لما في جبلته من الداعي إليه، فكان قد يواقعه ولو في وقت، قال تعالى معلماً لنا طريق الحكمة في دفع ما جرت إليه الأخبار الباطلة من القتال {وإن طائفتان}"[1]

➢معنى الإصلاح:

لغة: ضد الإفساد وهو من الصلاح المقابل للفساد، وللسيئة .. وفى القرآن الكريم: ﴿خلطوا عملا صالحا وآخرسيئا﴾ التوبة:١٠٢، ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾ الأعراف:٥٦.

فالإصلاح: هو التغيير إلى الأفضل، فالحركات الإصلاحية هى الدعوات التى تحرك قطاعات من البشر لإصلاح مافسد، فى الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالا بالحياة إلى درجة أرقى فى سلم التطور الإنسانى.

واصطلاحا: لا يفرق بينه وبين مصطلح الثورة فى مستوى التغيير وشموله، وإنما من حيث الأسلوب فى التغيير وزمن التغيير فكلاهما – إسلاميا– يعنى التغيير الشامل والعميق، لكن الثورة تسلك سبل العنف غالبا والسرعة فى التغيير، بينما تتم التغييرات الإصلاحية بالتدريج، وكثيرا ما تعطى الثورة الأولية لتغيير الواقع، بينما تبدأ مناهج الإصلاح عادة بتغيير الإنسان: وإعادة صياغة نفسه وفق الدعوة الإصلاحية، وبعد ذلك ينهض هذا الإنسان بتغيير الواقع وإقامة النموذج الإصلاحى الجديد.

ولذلك وصفت رسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام بأنها دعوات إصلاح فيقول رسول الله شعيب عليه السلام: ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾ هود:٨٨.

والناظر فى تاريخ المجتمعات الإنسانية يرى سلسلة من التدافع بين دعوات الإصلاح وحركاته وبين الفساد والإفساد فى تلك المجتمعات، وعلى سبيل المثال، نجد الحركة الإصلاحية التى قادها جمال الدين الأفغانى منذ النصف الثانى للقرن التاسع عشر، بدءا من مصروشمولا لكل العالم الإسلامى تمثل إحياء وتجديدا للفكر الإسلامى بالعودة إلى منابعه الجوهرية "القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة" ومناهج السلف الصالح"[2].

---

[1] «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ت(٨٨٥هـ)» (١٨/ ٣٦٤)

[2] - موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة - الإصلاح مجموعة مؤلفين ص٣٠- المكتبة الشاملة الحديثة

➢المعنى الإجمالي للآيات:

«وقال مجاهد: المراد بالطائفتين: الأوس والخزرج اقتتلوا بالعصي بينهم"[1]والمعنى: أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح، ولا دخلت فيه، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى. ثم أمر الله سبحانه المسلمين أن يعدلوا في كل أمورهم بعد أمرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتتلتين فقال: وأقسطوا إن الله يحب المقسطين أي: واعدلوا إن الله يحب العادلين، ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم بأحسن الجزاء. قال الحسن وقتادة والسدي: فأصلحوا بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضى بما فيه لهما وعليهما فإن بغت إحداهما وطلبت ما ليس لها، ولم ترجع إلى الصلح فقاتلوا التي تبغي حتى ترجع إلى طاعة الله والصلح الذي أمر الله به ،وفي هذه الآية دليل على قتال الفئة الباغية إذا تقرر بغيها على الإمام، أو على أحد من المسلمين»[2]

➢ هدايات وفوائد الآيات:

- المؤمِنُ عليه أنْ يُعاديَ في اللهِ، ويُواليَ في اللهِ، فإنْ كان هناك مؤمنٌ فعلَيه أنْ يُوالِيَه وإنْ ظلَمَه؛ فإنَّ الظُّلمَ لا يَقطَعُ الموالاةَ الإيمانيَّةَ،فجعَلَهم إخوةً معَ وُجودِ القتالِ والبغْيِ والأمْرِ بالإصلاحِ بيْنَهم. فلْيَتدبَّرِ المؤمنُ الفرْقَ بيْنَ هذَينِ النَّوعَينِ، فما أكثَرَ ما يَلتبِسُ أحدُهما بالآخَرِ! وليَعلَمَ أنَّ المؤمنَ تجِبُ مُوالاتُه وإنْ ظلَمَك واعْتَدى عليك، والكافرَ تجِبُ مُعاداتُه وإنْ أعْطاكَ وأحسَنَ إليك؛ فإنَّ اللهَ سُبحانه بعَثَ الرُّسلَ وأنزَلَ الكُتبَ ليَكونَ الدِّينُ كلُّه للهِ، فيَكونَ الحُبُّ لأوليائِه، والبُغضُ لأعدائِه، والإكرامُ لأوليائِه، والإهانةُ لأعدائِه، والثَّوابُ لأوليائِه، والعِقابُ لأعدائِه. وإذا اجتمَعَ في الرَّجُلِ الواحدِ خيرٌ وشَرٌّ وفُجورٌ، وطاعةٌ ومَعصيةٌ، وسُنَّةٌ وبِدْعةٌ؛ استحَقَّ مِن الموالاةِ والثَّوابِ بقدْرِ ما فيه مِن الخَيرِ، واستحقَّ مِن المعاداةِ والعِقابِ بحسَبِ ما فيه مِن الشَّرِّ، فيَجتمِعُ في الشَّخصِ الواحدِ مُوجِباتُ الإكرامِ والإهانةِ، فيَجتمِعُ له مِن هذا وهذا، كاللِّصِّ الفقيرِ؛ تُقطَعُ يَدُه لسَرِقَتِه، ويُعطَى مِن بَيتِ المالِ ما يَكْفيه لحاجتِه"[3].
- قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فيه أنَّ الإيمانَ والأُخُوَّةَ الإيمانيَّةَ لا تَزولُ معَ وُجودِ القِتالِ، كغَيرِه مِن الذُّنوبِ الكِبارِ الَّتي دونَ الشِّركِ، وعلى ذلك مَذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ."[4]
- جعَلَ حكْمَ قِتالِ الباغيةِ أنْ تكونَ طائفةً؛ لأنَّ الجَماعةَ يَعسُرُ الأخذُ على أيْدي ظُلْمِهم بأفرادٍ مِن النَّاسِ وأعوانِ الشُّرطةِ، فتَعيَّنَ أنْ يكونَ كَفُّهم عن البَغْيِ بالجَيشِ والسِّلاحِ"[5].

[1] «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ١٤٧)
[2] «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٧٤)
[3] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/٢٠٨، ٢٠٩).
[4] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٠٠).
[5] يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٦/٢٤٠)

المطلب الرابع: الأخوة الإسلامية.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ[1] وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ الحجرات

➢مناسبة الآيات لما قبلها:

"لما أمر بما قد يفضي إلى القتال، وكان الباغي ربما كان أقرب إلى الصلح من جهة النسب من المبغيّ عليه فروعي، وكان القتال أمراً شاقاً ربما حمل على الإحجام عن الإصلاح، علل ذلك سبحانه بما قدم فيه قرابة الدين على قرابة النسب، وكشف كشفاً تاماً عن أنه لا يسوغ له تركه لما يؤدي إليه من تفريق الشمل المؤدي إلى وهن الإسلام وأهله المؤدي إلى ظهور الباطل المؤدي إلى الفساد الأعظم الذي لا تدارك له فقال تعالى: {إنما المؤمنون} أي كلهم وإن تباعدت أنسابهم وأغراضهم وبلادهم {إخوة} لانتسابهم إلى أصل واحد وهو الإيمان"[2]

"**فالأخوة الإسلامية المأمور بها:** هي الأخوة فى الدين الإسلامى أعلى رباط اجتماعى، ذلك أن الأخوة فى الدين ناتجة عن الإيمان العميق به، بحيث يخضع لأوامر ربه دون سواه، ومن ثم تكون هناك عاطفة قوية موحدة تجمع المسلمين جميعا وهي عبارة عن كل ما يربط المسلمين بعضهم ببعض، وهذا الرابط قائم على الإيمان.

وهذه الأخوة: أخوة مقدمة على أخوة الدم والعرق، وهي أخوة قائمة على الحب في الله، والبغض في الله، والولاء لله والبراء لله، إنها أخوة أساسها الإيمان بالله والإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم.

والأخوة الحقيقية: هي أخوة الإيمان فلا أخوة صادقة بلا إيمان، ولا إيمان صادق بلا شعور بالأخوة للمؤمن؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ آل عمران: ١٠٣ ، وقال صلى الله عليه وسلم: (وكونوا عباد الله إخوانا)[3]"فمن كان قائمًا بواجب الإيمان كان أخًا لكل مؤمن، ووجب على كل مؤمن أن يقوم بحقوقه، وإن لم يجر بينهم عقد خاص، فإن الله قد عقد الأخوة بين المسلمين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فرابطة الأخوة في الله هي أقوى الروابط وأصدقها وأبقاها، وهي التي تتحكم في كل العلاقات والروابط بين الناس"[4].

---

[1] قرأ الجمهور: بين أخويكم على التثنية: ووجه الشوكاني قراءة الجمهوربقوله: أراد بالأخوين الطائفتين لأن لفظ التثنية قد يرد ويراد به الكثرة. وقال أبو عبيدة: أي: أصلحوا بين كل أخوين واتقوا الله في كل أموركم لعلكم ترحمون.

[2] «نظم الدرر في تناسب الآيات والسورللبقاعي ت(٨٨٥هـ)» (١٨/ ٣٧٣)

[3] الألباني (ت ١٤٢٠)، ٢١ ٢٤١ • صحيح •

[4] - كتاب موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة مجوعة مؤلفين ص٦٣٢- المؤاخاة - المكتبة الشاملة الحديثة

➢المعنى الإجمالي للآيات:

"إنما المؤمنون إخوة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإصلاح، والمعنى: أنهم راجعون إلى أصل واحد وهو الإيمان. قال الزجاج: الدين يجمعهم، فهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب لأنهم لآدم وحواء فأصلحوا بين أخويكم يعني كل مسلمين تخاصما وتقاتلا، وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوقهما بطريق الأولى"[١]

➢ هدايات وفوائد الآيات.

- "أمرالله سبحانه وتعالى بالإصلاح بين المسلمين، ورتب الرحمة في الدنيا والآخرة على ذلك

خافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم في الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل، وفي غير ذلك من فرائضه، واج تناب معاصيه؛ ليرحمكم ربكم، فيصفح لكم عن سالف إجرامكم إذا أنتم أطعتموه، واتبعتم أمره ونهيه، واتقيتموه بطاعته[٢]."

- "دفع حركة الدعوة إلى الله تعالى وقوتها.

فالدعوة إلى الله تحتاج إلى جهد كل مسلم آمن بالله ربًا لكي يتم الله هذا الأمر، وإذا حصل خلافٌ أو خصومة بين أفراد المجتمع –وهم جزءٌ من المجتمع– يتأثر المجتمع بما يحصل بينهم من خير أو شر، وصرفت طاقات وأفكار وأموال وأوقات في هذا الخلاف، ثم مثلها وأكثر منها لكي يعوض هذا الخلل، ويرأب الصدع، وأقل ضرره تعطيل سير الدعوة إلى الله والإنتاجية النافعة إلى أن يصطلحا، ولذا فالإصلاح بين الناس واجب إذا تنازعوا، وواجب لابد منه لتستقيم الحياة"[٣].

- وإذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة"[٤].

- ومن الرحمة: «ألا يتصدع بنيانكم، ولا تتشتت أمتكم، وتصبح جماعات وطوائف متعادية، يقتل بعضها بعضًا؛ ولما لم يتق المؤمنون الله في الإصلاح الفوري بين الطوائف الإسلامية المتنازعة حصل من الفساد والشر ما الله به عليم في الغرب الإسلامي والشرق"[٥].

- من معاني الرحمة في الدنيا والآخرة «أن تجري أحوالكم على استقامة وصلاح، وإنما اختيرت الرحمة لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين، وشأن تعامل الإخوة الرحمة، فيكون الجزاء عليها من جنسها"[٦].

- في قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ خاطب الله جميعُ المؤمنينَ؛ فيَشملُ الطَّائفتَينِ: الباغيةَ والمبْغيَّ عليها، ويَشملُ غيرَهما ممَّن أُمِروا بالإصلاحِ بيْنَهما ومُقاتَلةِ الباغيةِ؛ فتَقْوَى كُلٍّ بالوُقوفِ عندَ ما أمَرَ اللهُ به كُلًّا ممَّا يَخُصُّه.

[١] «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٧٤):
[٢] جامع البيان، الطبري (٢٢/٢٩٧)
[٣] «نظم الدرر في تناسب الآيات والسورللبقاعي ت(٨٨٥هـ)» (١٨/ ٣٧٤)
[٤] تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨٠١)
[٥] أيسر التفاسير، الجزائري (٤/٢٩٤)
[٦] التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/٢٤٥)

المطلب الخامس: أخلاق وأداب التعامل مع المسلمين، وفيه:

أولاً: النهي عن السخرية والنهي عن اللمز والتنابز في الألقاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)﴾ الحجرات

➢مناسبة الآيات لما قبلها:

"لما نهى عن الإسراع بالإيقاع بمجرد سماع ما يوجب النزاع، وختم بما ترجى به الرحمة، وكان ربما كان الخبر الذي أمر سبحانه بتبينه صريحاً، نهى عن موجبات الشر التي يخبر بها فتكون سبباً للضغائن التي يتسبب عنها الشر الذي هو سبب للنقمة رحمة لعباد الله وتوقعاً للرحمة منه فقال على سبيل النتيجة من ذلك ذاكراً ما في القسم من الآداب والمنافع من وجوب ترك أذى المؤمنين في حضورهم والإزراء بحالهم المذهب لسرورهم الجالب لشرورهم"[١]

➢المعنى الإجمالي للآيات:

ومعنى الآية: النهي للمؤمنين عن أن يستهزئ بعضهم ببعض، وعلل هذا النهي بقوله: عسى أن يكونوا خيرا منهم أي: أن يكون المسخور بهم عند الله خيرا من الساخرين بهم، ولما كان لفظ قوم مختصا بالرجال، لأنهم القوم على النساء أفرد النساء بالذكر فقال: ولا نساء من نساء أي: ولا يسخر نساء من نساء عسى أن يكن المسخور بهن خيرا منهن يعني خيرا من الساخرات منهن، وقيل: أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهن أكثر ومعنى: لا تلمزوا أنفسكم لا يلمز بعضكم بعضا[٢]، كما في قوله: ولا تقتلوا أنفسكم «٣» وقوله: فسلموا على أنفسكم «٤» قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير: لا يطعن بعضكم على بعض. وقال الضحاك: لا يلعن بعضكم بعضا ولا تنابزوا بالألقاب التنابز: المراد هنا لقب السوء، والتنابز بالألقاب بأن يلقب بعضهم بعضا[٣]. قال الواحدي: قال المفسرون: هو أن يقول لأخيه المسلم: يا فاسق، يا منافق. أو يقول لمن أسلم: يا يهودي، يا نصراني، قال عطاء: هو كل شيء أخرجت به أخاك من الإسلام، كقولك يا كلب، يا حمار، يا خنزير. قال الحسن ومجاهد: كان الرجل يعير بكفره، فيقال له: يا يهودي يا نصراني، فنزلت، وبه قال قتادة وأبو العالية وعكرمة بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي: بئس الاسم الذي يذكر بالفسق بعد دخولهم في الإيمان، والاسم هنا بمعنى الذكر. قال ابن زيد: أي بئس أن يسمى الرجل كافرا أو زانيا بعد إسلامه وتوبته. وقيل: أن من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبذ فهو فاسق. قال القرطبي: إنه يستثنى من هذا من غلب عليه الاستعمال كالأعرج والأحدب، ولم يكن له سبب يجد في نفسه منه عليه، فجوزته الأئمة واتفق على قوله أهل اللغة اه. ومن لم يتب عما نهى الله عنه فأولئك هم الظالمون لارتكابهم ما نهى الله عنه وامتناعهم من التوبة، فظلموا من لقبوه، وظلمهم أنفسهم بما لزمها من الإثم"[٤]

---

[١] يُنظر: تفسير السعدي (ص: ٨٠١

[٢] ولا تلمزوا أنفسكم اللمز: العيب قال ابن جرير: اللمز باليد والعين واللسان والإشارة، والهمز لا يكون إلا باللسان،

[٣] التفاعل من النبز بالتسكين وهو المصدر، والنبز بالتحريك اللقب، والجمع أنباز، والألقاب جمع لقب، وهو اسم غير الذي سمي به الإنسان

[٤] «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٧٥)

➢ هدايات وفوائد الآيات:

- "قال تعالى :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ وتَوجيهُ الخِطابِ للمؤمنِ يدُلُّ على أنَّ ما يُتلى عليه فهو مِن مُقْتضياتِ الإيمانِ، وأنَّ فَقْدَه ومُخالَفتَه نقْصٌ في الإيمانِ.
- فيه دلالة علىأن من حُقوقِ المؤمنينَ بَعضِهم على بعضٍ؛ ألَّا يَسخَرَ قومٌ مِن قومٍ بكلِّ كلامٍ، وقولٍ، وفِعلٍ دالٍّ على تَحقيرِ الأخِ المسلمِ؛ فإنَّ ذلك حَرامٌ لا يَجوزُ، وهو دالٌّ على إعجابِ السَّاخرِ بنفْسِه، وعَسَى أنْ يكونَ المسخورُ به خَيرًا مِن السَّاخِرِ، كما هو الغالِبُ والواقعُ؛ فإنَّ السُّخريةَ لا تقَعُ إلَّا مِن قلْبٍ مُمتلِئٍ مِن مَساوي الأخلاقِ، مُتحَلٍّ بكلِّ خُلقٍ ذَميمٍ؛ ولهذا قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (بحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أخاهُ المسلمَ)"[1].
- ولُه تعالى: عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ فيه وُجوبُ أنْ يَعتقِدَ كلُّ أحدٍ أنَّ المسخورَ منه رُبَّما كان عندَ اللهِ خَيرًا مِن السَّاخرِ؛ لأنَّ النَّاسَ لا يَطَّلِعونَ إلَّا على ظَواهرِ الأحوالِ، ولا عِلمَ لهم بالخَفيَّاتِ، وإنَّما الَّذي يَزِنُ عندَ اللهِ: خُلوصُ الضَّمائرِ، وتَقْوى القلوبِ، وعِلمُهم مِن ذلك بمَعزِلٍ؛ فيَنْبغي ألَّا يَجترِئَ أحدٌ على الاستِهزاءِ بمَن تَقتَحِمُه عَينُه إذا رآهُ رثَّ الحالِ، أو ذا عاهةٍ في بَدَنِه، أو غيرَ لَبِقٍ في مُحادثَتِه؛ فلَعلَّه أخلَصُ ضَميرًا، وأتْقى قلبًا ممَّن هو على ضِدِّ صِفتِه، فيَظلِمُ نفْسَه بتَحقيرِ مَن وقَّرَه اللهُ، والاستِهانةِ بمَن عظَّمَه اللهُ[2]
- في قولِه تعالى: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ تَحريمُ عَيبِ المؤمنينَ بَعضِهم بَعضًا، وفيه تنبيهٌ على أنَّ العاقلَ لا يعيبُ نفْسَه، فلا ينبغي أن يعيبَ غيرَه؛ لأنَّه كنَفْسِه."[3]
- قولُ اللهِ تعالى: وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ فيه تَحريمُ المنابَزةِ بالألقابِ، وهي الوصْفُ بلقَبٍ يَكرَهُه الشَّخصُ[4]
- قولُ اللهِ تعالى: وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فيه أنَّ التَّوبةَ فرْضٌ على العِبادِ، فالواجبُ على العبْدِ أنْ يَتوبَ إلى اللهِ تعالى، ويَخرُجَ مِن حقِّ أخيهِ المسلمِ؛ باستِحلالِه، والاستِغفارِ، والمدْحِ له، مُقابَلةً على ذَمِّه[5]

[1] يُنظر: تفسير السعدي (ص: ٨٠١). والحديث رواه مسلم (٢٥٦٤).
[2] يُنظر: تفسير الزمخشري(٣٦٨/٤).
[3] يُنظر: تفسير القرطبي (٣٢٧/١٦)
[4] المرجع السابق
[5] يُنظر: تفسير السعدي (ص: ٨٠١).

ثانياً: النهي عن الظن السيء بالمؤمنين.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاِتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾ الحجرات

➢مناسبة الآيات لما قبلها:

"لما كان الإنسان ربما دعا صاحبه بلقب له شيء غير قاصد به عيبه، أو فعل فعلاً يتنزل على الهزء غير قاصد به الهزء، نهى تعالى عن المبادرة إلى الظن من غير تثبت لأن ذلك من وضع الأشياء في غير مواضعها، الذي هو معنى الظلم"[١].

➢المعنى الإجمالي للآيات:

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن،"

الظن هنا: هو مجرد التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم غيره بشيء من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك".

وإن الظن في الشريعة قسمان: محمود، ومذموم، فالمحمود منه ما سلم معه دين الظانّ، والمظنون به عند بلوغه، والمذموم ضده بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وقوله تعالى في سورة (النور) رقم [١٢]: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾ وقوله تعالى في سورة (الفتح) رقم [١٢]: ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾. هذا؛ وينبغي للإنسان أن يحسن ظنه بالناس، ولا يسيء ظنه بهم استجابة لأمر الله تعالى في هذه الاية، ولا يسيء الظن بهم إلاّ الذي أعماله سيئة، وأمر سبحانه باجتناب الكثير ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه لأن من الظن ما يجب اتباعه، فإن أكثر الأحكام الشرعية مبنية على الظن، كالقياس، وخبر الواحد، ودلالة العموم، ولكن هذا الظن الذي يجب العمل به قد قوي بوجه من الوجوه الموجبة للعمل به فارتفع عن الشك والتهمة. قال الزجاج: هو أن يظن بأهل الخير سوءا، فأما أهل السوء والفسوق قلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم. قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان: هو أن يظن بأخيه المسلم سوءا، ولا بأس به ما لم يتكلم به، فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم. وحكى القرطبي عن أكثر العلماء: أن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وأنه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح، وجملة إن بعض الظن إثم تعليل لما قبلها من الأمر باجتناب كثير من الظن، وهذا البعض هو ظن السوء بأهل الخير.

والإثم: هو ما يستحقه الظان من العقوبة. ومما يدل على تقييد هذا الظن المأمور باجتنابه بظن السوء قوله تعالى:

وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا، فلا يدخل في الظن المأمور باجتنابه شيء من الظن المأمور باتباعه في مسائل الدين، فإن الله قد تعبد عباده باتباعه، وأوجب العمل به جمهور أهل العلم، ولم ينكر ذلك إلا بعض طوائف المبتدعة كيادا للدين، وشذوذا عن جمهور المسلمين، وقد جاء التعبد بالظن في كثير من الشريعة المطهرة بل في أكثرها.

وكذلك ينبغي له أن يحسن ظنّه بالله تعالى بأن الله يرحمه، ويعفو عنه، ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي... إلخ» ولكن ينبغي أن يقرن حسن ظنّه بالله بحسن"[٢]

➢ هدايات وفوائد الآيات:

---

[١] نظم الدرر للبقاعي ت(٨٨٥هـ)» (١٨/ ٣٧٤)

[٢] ينظر = «فتح القدير للشوكاني(١٢٧٠هـ)» (٥/ ٧٦)«تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه – الدرة ت١٤٢٨هـ» (٩/ ١٨٩)

- في قولِه تعالى: اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ تَحضيضٌ على الظَّنِّ الحَسَنِ، وتَحريمُ ظَنِّ السُّوءِ بأَهْلِ الخَيرِ، وإباحتُه بأَهْلِ الشَّرِّ؛ لأنَّه لم يُنْهَ عن كلِّ الظَّنِّ.[1]
- قولُ اللهِ تعالى: اجْتَنِبُوا كَثِيرًا، وقولُه تعالى: إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ إشارةٌ إلى الأخْذِ بالأحوطِ، كما أنَّ الطَّريقَ المخُوفةَ لا يتَّفِقُ كلَّ مرَّةٍ فيها قاطعُ طَريقٍ، لكنَّك لا تَسلُكُ لاتِّفاقِ ذلك فيها مرَّةً ومرَّتَينِ، إلَّا إذا تعيَّن فتَسلُكُها مع رُفقةٍ، كذلك الظَّنُّ يَنْبغي بعْدَ اجتهادٍ تامٍّ، ووُثوقٍ بالغٍ"[2].
- قولُ اللهِ تعالى: اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إخراجٌ للظُّنونِ الَّتي عليها تُبْنى الخَيراتُ، وبالجُملةِ كلُّ أمْرٍ لا يكونُ بِناؤُه على اليقينِ فالظَّنُّ فيه غيرُ مُجتنَبٍ، مِثالُه: حكْمُ الحاكمِ على قَول الشُّهودِ، وبَراءةُ الذِّمَّةِ عندَ عدَمِ الشُّهودِ، إلى غيرِ ذلك[3].
- قال اللهُ تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ :

الظَّنُّ على أربعةِ أضرُبٍ: مَحظورٍ، ومأْمورٍ به، ومُباحٍ، ومَندوبٍ إليه؛

فأمَّا المحظورُ فهو سُوءُ الظَّنِّ باللهِ تعالى،

والواجبُ حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ، وكذلك سُوءُ الظَّنِّ بالمسلمينَ الَّذين ظاهِرُهم العدالةُ مَحظورٌ،

وأمَّا الظَّنُّ المأمورُ به فهو ما لم يُنصَبْ عليه دليلٌ يُوصِلُ إلى العِلمِ به، وقد تُعُبِّدْنا بتَنفيذِ الحكْمِ فيه، والاقتِصارِ على غالبِ الظَّنِّ، وإجراءُ الحكْمِ عليه واجبٌ، وذلك نحْوُ ما تُعبِّدْنا به مِن قَبولِ شَهادةِ العُدولِ، وتَحرِّي القِبلةِ، وتَقويمِ المستهَلكاتِ، وأُروشِ الجِناياتِ الَّتي لم يَرِدْ بمَقاديرِها تَوقيفٌ، فهذا وما كان مِن نَظائرِه قد تُعبِّدْنا فيه بأحكامِ غالبِ الظُّنونِ.

فأمَّا الظَّنُّ المباحُ فكالشَّاكِّ في الصَّلاةِ إذا كان إمامًا، أمَرَه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالتَّحرِّي والعمَلِ على ما يَغلِبُ في ظَنِّه، وإنْ فَعَلَه كان مُباحًا، وإنْ عدَلَ عنه إلى البِناءِ على اليقينِ كان جائزًا.[4]

[1] المرجع السابق
[2] يُنظر: تفسير الرازي (١١٠/٢٨).
[3] المرجع السابق (١١٠/٢٨).
[4] يُنظر: تفسير ابن الجوزي (١٥١/٤)

ثالثاً: النهي عن التجسس.

﴿وَلا تَجَسَّسُوا .....(١٢)﴾ الحجرات

➢المعنى الإجمالي للآيات:

ثم لما أمرهم الله سبحانه باجتناب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال: "**ولا تجسسوا التجسس**: البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم، نهاهم الله سبحانه عن البحث عن معايب الناس ومثالبهم. ي: ولا تتَّبِعوا -أيُّها المؤمنونَ- عُيوبَ النَّاسِ وتُنَقِّبوا عنها، بلِ اتْرُكوهم، وعامِلوهم بحسَبِ ظَواهِرِهم[١].

عن ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: (صَعِدَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المِنبرَ، فنادَى بصَوتٍ رفيعٍ، فقال: يا مَعْشَرَ مَنْ أسلَمَ بلِسانِه، ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلْبِه، لا تُؤذوا المسلمينَ، ولا تُعَيِّروهم، ولا تتَّبِعوا عَوْراتِهم؛ فإنَّه مَن تَتبَّعَ عَورةَ أخيه المسلِمِ تَتبَّعَ اللهُ عَوْرتَه، ومَن تَتبَّعَ اللهُ عَورتَه يَفضَحْه ولو في جَوفِ رَحْلِه)[٢].

وعن مُعاويةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: (إنَّك إنِ اتَّبَعْت عَوْراتِ النَّاسِ أفسَدْتَهم، أو كِدْتَ أنْ تُفسِدَهم)، فقال أبو الدَّرْداءِ: (كلمةٌ سمِعَها مُعاويةُ مِن رسولِ اللهِ نفَعَه اللهُ تعالى بها[٣]) [٤].

➢ هدايات وفوائد الآيات:

- النَّهيُ عن التَّجسُّسِ مِن فُروعِ النَّهيِ عن الظَّنِّ، فهو مُقيَّدٌ بالتَّجسُّسِ الَّذي هو إثمٌ، أو يُفْضي إلى الإثمِ، فالمنهيُّ عنه هو التَّجسُّسُ الَّذي لا يَنجَرُّ منه نفْعٌ للمُسلمينَ، أو دفْعُ ضُرٍّ عنهم، فلا يَشملُ التَّجسُّسَ على الأعداءِ، ولا تَجسُّسَ الشُّرَطِ على الجُناةِ واللُّصوصِ.[٥]

[١] يُنظر: تفسير ابن جرير(٣٧٤/٢١)، تفسير القرطبي (٣٣٣/١٦)، تفسير ابن كثير (٣٧٩/٧)، تفسير السعدي(ص: ٨٠١)، تفسير ابن عاشور(٢٥٣/٢٦، ٢٥٤)، تفسير ابن عثيمين: سورة الحجرات - الحديد (ص: ٥٠).
[٢] أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) واللَّفظُ له، وابنُ حِبَّانَ (٥٧٦٣). قال الترمذي: (حسَنٌ غريبٌ). وصحَّحه ابنُ حِبَّانَ، وصحَّح إسنادَه الزَّيْلَعيُّ في ((تخريج الكشاف)) (٣٤٤/٣)، وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٠٣٢): (حسَنٌ صحيحٌ). وقوَّى إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (٥٧٦٣)
[٣] أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) واللَّفظُ له، وابنُ حِبَّانَ (٥٧٦٠)، والطَّبَرانيُّ (٣٧٩/١٩) (٨٩٠). صحَّحه ابنُ حِبان، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٨٨٨)، وصحَّح إسنادَه العراقيُّ في ((تخريج الإحياء)) (٢٥٠/٢)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (٤٨٨٨).
[٤] «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٧٦)
[٥] يُنظر: تفسير ابن عاشور (٢٥٤/٢٦)

رابعاً: النهي عن الغيبة.

﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾ الحجرات

➢المعنى الإجمالي للآيات:

﴿وَلا **يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه.

والغيبة: أن تذكر الرجل بما يكرهه، كما في حديث أبي هريرة الثابت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، فقيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته[١]) أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا مثل سبحانه الغيبة بأكل الميتة، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه. ذكر معناه الزجاج. وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه، وأنه كما يحرم أكل لحمه يحرم الاستطالة في عرضه ، وفي هذا من التنفير عن الغيبة والتوبيخ لها والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى، فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية، وتستكرهه الجبلة البشرية، فضلا عن كونه محرما شرعا فكرهتموه قال الفراء: تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوا، والمعنى: فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. قال الرازي: الفاء في تقدير جواب كلام، كأنه قال: لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذاة عرض عليكم ذلك فكرهتموه واتقوا الله بترك ما أمركم باجتنابه إن الله تواب رحيم لمن اتقاه وتاب عما فرط منه من الذنب ومخالفة الأمر".[٢]

➢ هدايات وفوائد الآيات:

- "قولُ اللهِ تعالى ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾، فيه وُجوبُ حِفظِ عِرضِ المؤمنِ في غَيبتِه"[٣].
- "تَحريمُ الغِيبةِ، وهي ذِكرُ الشَّخصِ بما يَكرَهُه ممَّا هو فيه"[٤].
- "ودلَّ قولُه تعالى :أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ على التَّحذيرِ الشَّديدِ مِن الغِيبةِ".[٥]
- أنَّ الغِيبةَ مِن الكبائرِ؛ لأنَّ اللهَ شبَّهَها بأكْلِ لحْمِ الميِّتِ، وذلك مِن الكبائرِ"[٦]

[١] السيوطي (ت ٩١١)، الجامع الصغير ٥٨٠٤ • صحيح
[٢] «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٧٦)
[٣] يُنظر: تفسير الرازي (١١٠/٢٨).
[٤] المرجع السابق
[٥] يُنظر: تفسير السعدي (ص: ٨٠١).
[٦] المرجع السابق

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾

➢مناسبة الآيات لما قبلها:

"ولما أمر سبحانه بإجلال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإعظامه، ونهى عن أذاه في نفسه أو في أمته، ونهى عن التفاخر الذي هـ وسبب التقاطع والتداحر، وختم بصفتة الخبر، دل عليها بقوله مشيراً إلى أنه لا يعتد بشيء مما أمر به أو نهى عنه إلا مع الإخلاص"[1]

➢المعنى الإجمالي للآيات:

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى هما آدم وحواء، والمقصود أنهم متساوون لاتصالهم بنسب واحد، وكونه يجمعهم أب واحد وأم واحدة، وأنه لا موضع للتفاخر بينهم بالأنساب، وقيل: المعنى:

أن كل واحد منكم من أب وأم، فالكل سواء وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعوب جمع شعب بفتح الشين، وهو الحي العظيم، مثل مضر وربيعة، والقبائل دونها كبني بكر من ربيعة، وبني تميم من مضر. قال الواحدي:

هذا قول جماعة من المفسرين، سموا شعبا لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجرة، والشعب من أسماء الأضداد. يقال شعبته: إذا جمعته، وشعبته إذا فرقته، ومنه سميت المنية شعوبا لأنها مفرقة، فأما الشعب بالكسر فهو الطريق في الجبل. قال الجوهري: الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم، والجمع الشعوب.

وقال مجاهد: الشعوب: البعيد من النسب، والقبائل دون ذلك. وقال قتادة: الشعوب: النسب الأقرب.

وقيل: إن الشعوب: عرب اليمن من قحطان، والقبائل من ربيعة ومضر وسائر عدنان. وقيل: الشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب. وحكى أبو عبيدة أن الشعب أكثر من القبيلة، ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ثم العشيرة.

والفائدة في التعارف أن ينتسب كل واحد منهم إلى نسبه ولا يعتري إلى غيره. والمقصود من هذا أن الله سبحانه خلقهم كذلك لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم، ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن. ثم علل سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر فقال: إن أكرمكم عند الله أتقاكم أي: إن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن تلبس بها فهو المستحق لأن يكون أكرم ممن لم يتلبس بها وأشرف وأفضل، فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالأنساب، فإن ذلك لا يوجب كرما ولا يثبت شرفا ولا يقتضي فضلا.[2]

➢ هدايات وفوائد الآيات:

- «فائدة ذلك التعارف فيه وجهان:
- أحدهما/أن فائدة ذلك التناصر لا التفاخر
- وثانيهما/ أن فائدته التعارف لا التناكر.

[1] «نظم الدرر في تناسب الآيات والسورللبقاعي ت(٨٨٥هـ)» (١٨/ ٣٨٥)
[2] «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٧٩):

- واللمز والسخرية والغيبة تفضي إلى التناكر لا إلى التعارف وفيه معان لطيفة.

الأولى: قال تعالى: إنا خلقناكم وقال: وجعلناكم لأن الخلق أصل تفرع عليه الجعل شعوبا فإن الأول هو الخلق والإيجاد، ثم الاتصاف بما اتصفوا به، لكن الجعل شعوبا للتعارف والخلق للعبادة كما قال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [الذاريات: ٥٦] واعتبار الأصل متقدم على اعتبار الفرع، فاعلم أن النسب يعتبر بعد اعتبار العبادة كما أن الجعل شعوبا يتحقق بعد ما يتحقق الخلق، فإن كان فيكم عبادة تعتبر فيكم أنسابكم وإلا فلا.

الثانية: قوله تعالى: خلقناكم، وجعلناكم إشارة إلى عدم جواز الافتخار لأن ذلك ليس لسعيكم ولا قدرة لكم على شيء من ذلك، فكيف تفتخرون بما لا مدخل لكم فيه؟ فإن قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى: إنا هديناه السبيل [الإنسان: ٣] نهدي به من نشاء [الشورى: ٥٢] فنقول أثبت الله لنا فيه كسبا مبنيا على فعل، كم قال الله تعالى: فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا [المزمل: ١٩] ،ثم قال تعالى: وما تشاؤن إلا أن يشاء الله وأما في النسب فلا .

الثالثة: قوله تعالى: لتعارفوا إشارة إلى قياس خفي، وبيانه هو أنه تعالى قال: إنكم جعلتم قبائل لتعارفوا وأنتم إذا كنتم أقرب إلى شريف تفتخرون به فخلقكم لتعرفوا ربكم، فإذا كنتم أقرب منه وهو أشرف الموجودات كان الأحق بالافتخار هناك من الكل".[1]

[1] «تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» (٢٨/ ١١٣):

المطلب السادس: المنّة لله –عزّ وجلّ– في هداية الخلق وليس لأحد منّة على رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– لكونه دخل الإسلام وصار مسلمًا.

﴿قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (١٨)﴾

➢مناسبة الآيات لما قبلها:

"ولما كان الإيمان التصديق بالقلب فلا اطلاع عليه لآدمي إلا بإطلاعه سبحانه فكانوا كاذبين في دعواه، قال: {قل} أي تكذيباً لهم مع مراعاة الأدب في عدم التصريح بالتكذيب: {لم تؤمنوا} أي لم تصدق قلوبكم لأنكم لو أمنتم لم تمنوا بإيمانكم لأن الإيمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذي منه أنه لولا منه بالهداية لم يحصل الإيمان، فله ولرسوله – الذي كان ذلك على يديه – المن والفضل"[1]

➢سَبَبُ النُّزُولِ:

أخرج النَّسَائِي عن ابن عبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال: قدم وفد بني أسد على رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فتكلموا، فقالوا: قاتلتك مضرُ ولسنا بأقلّهم عددا ولا أكلّهم شوكة، وصلنا رحمك، فقال لأبي بكر وعمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – تكلموا هكذا، قالوا: لا، قال: (إن فقه هؤلاء قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم)، قال عطاء في حديثه فأنزل الله – عزَّ وجلَّ –: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا)»[2]

➢المعنى الإجمالي للآيات:

"لما اشتملت عليه سورة الحجرات من أنواع الهداية والتربية الإسلامية فقال تعالى {قَالَتِ الأَعْرَابُ} أعراب بني أسد آمنا أي صدقنا بتوحيد الله وبنبوتك. قل لهم ردا عليهم لم تؤمنوا بعد، ولكن الصواب أن تقولوا أسلمنا أي أذعنا للإسلام وانقدنا لقبوله وهو الإسلام الظاهري، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد وسيدخل إن شاء الله. وإن تطيعوا الله ورسوله أيها الأعراب في الإيمان الحق وفي غيره من سائر التكاليف لا يلتكم، أي لا ينقصكم الله تعالى من أجور أعمالكم الصالحة التي تعملونها طاعة لله ورسوله شيئا وإن قل. وقوله إن الله غفور رحيم في هذه الجملة ترغيب لهم في الإيمان الصالح والإسلام الصحيح فأعلمهم أن الله تعالى غفور للتائبين رحيم بهم وبالمؤمنين فتوبوا إليه واصدقوه يغفر لكم ويرحمكم»[3]

➢ هدايات وفوائد الآيات:

---

[1] «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ت(٨٨٥هـ)» (١٨/ ٣٨٥)

[2] ينظر=«الصحيح المسند من أسباب النزول / المؤلف: مُقْبِلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (المتوفى ١٤٢٢هـ) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة للمزيني» (٢/ ٩٢٨)

[3] «أيسر التفاسير للجزائري» (٥/ ١٣٤):

- "أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه"[1]
- «في الأية دلالة على مايدل على نفي الإيمان عنهم وثبوت الإسلام لهم. وذلك يستلزم أن الإيمان أخص من الإسلام؛ لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم»[2]
- أَنَّ النِّيَّةَ مَحْضُ عَمَلِ القلبِ، فلمْ يُشْرَعْ إظهارُها باللِّسانِ؛ لقولِه سُبحانه: قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وفاعِلُ ذلك يُعَلِّمُ اللهَ بدِيْنِه الَّذي في قلْبِه.
- "قوله تعالى: يمنون عليك زيادة بيان لقبيح فعلهم وذلك لأن الإيمان له شرفان أحدهما: بالنسبة إلى الله تعالى وهو تنزيه الله عن الشرك وتوحيده في العظمة، وثانيهما: بالنسبة إلى المؤمن فإنه ينزه النفس عن الجهل ويزينها بالحق والصدق، فهم لا يطلبون بإسلامهم جانب الله ولا يطلبون شرف أنفسهم بل منوا ولو علموا أن فيه شرفهم لما منوا به بل شكروا.
- قوله: قل لا تمنوا علي إسلامكم أي الذي عندكم إسلام، ولهذا قال تعالى: ولكن قولوا أسلمنا ولم يقل: لم تؤمنوا ولكن أسلمتم لئلا يكون تصديقا لهم في الإسلام أيضا كما لم يصدقوا في الإيمان، فإن قيل لم لم يجز أن يصدقوا في إسلامهم، والإسلام هو الانقياد، وقد وجد منهم قولا وفعلا وإن لم يوجد اعتقادا وعلما وذلك القدر كاف في صدقهم؟ نقول التكذيب يقع على وجهين:
- أحدهما: أن لايوجد نفس المخبر عنه .
- وثانيهما: أن لايوجد كما أخبر في نفسه فقد يقول ما جئتنا بل جاءت بك الحاجة، فالله تعالى كذبهم في قولهم آمنا على الوجه الأول، أي ما آمنتم أصلا ولم يصدقوا في الإسلام على الوجه الثاني فإنهم انقادوا للحاجة وأخذ الصدقة.
- قال: بل الله يمن عليكم يعني لا منة لكم ومع ذلك لا تسلمون رأسا برأس بحيث لا يكون لكم علينا ولا لنا عليكم منة، بل المنة عليكم، وقوله تعالى: بل الله يمن عليكم حسن أدب حيث لم يقل لا تمنوا علي بل لي المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم، ثم في مقابلة هذا الأدب قال الله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[الشورى: ٥٢]
- ولم يقل يمن عليكم أن أسلمتم بل قال: أن هداكم للإيمان لأن إسلامهم كان ضلالا حيث كان نفاقا فما من به عليهم، فإن قيل كيف من عليهم بالهداية إلى الإيمان مع أنه بين أنهم لم يؤمنوا؟ نقول الجواب عنه من ثلاثة أوجه
- أحدها: أنه تعالى لم يقل: بل الله يمن عليكم أن رزقكم الإيمان، بل قال: أن هداكم للإيمان وإرسال الرسل بالآيات البينات هداية.
- ثانيها: هو أنه تعالى يمن عليهم بما زعموا، فكأنه قال أنتم قلتم آمنا، فذلك نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار، فقال هداكم في زعمكم
- ثالثها: وهو الأصح، هو أن الله تعالى بين بعد ذلك شرطا فقال: إن كنتم صادقين"[3].

[1] «تفسير ابن كثير - ط العلمية» (٧/ ٣٦٣):
[2] «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٧/ ٦٧٤ ط عطاءات العلم):
[3] «تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» (٢٨/ ١١٨):

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي يسر لي المكث مع كتابه مدة مباركة أتفيؤ ظلاله، وأنهل من معينه الذي لاينضب، وأرتشف من رحيقه، في روحانية مفعمة من خلال معايشة سورة الحجرات.

وهذه الآيات الكريمة تحدث عنها المفسرون في تفاسيرهم والعلماء في كتبهم في آحاديث مطولة وآداب جاءت الإشارة إليها في هذه البضاعة القليلة.

١-حيث تضمنت السورة ذكر الأدب، مع الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في جميع أمورهم، و وأن لايتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتى يقول، ولا يأمروا، حتى يأمر، فإن هذا، حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته، تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول صلى الله عليه وسلم، على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنا ما كان وعلمنا من خلال ثنايا السورة أن الإشاعة"نقل الأخبار" داء قاتل، ومقالة السوء لا تقف عند حد، والكذب قد فشا سوقه وراجت بضاعته، ووقفنا عند المنهج الشرعي في تلقي تلك الأخبار وطلب التثبت منها، وتوصلنا إلى نتائج مهمة وقواعد شرعية تقطع دابر الكذب وتلغي أثره، وترد أصحابه على أعقابهم خاسرين. ووقفنا على معنى الأخوة في الله، وأن الإخاء في الله منهج رباني متى وعاه المسلمون فقد صلحوا وأفلحوا.

٢-وقد تنوعت مصادرهذا البحث، متوجة بكتاب الله وسنة رسوله ومتشرفة بكتب أسلافنا الكرام في التفسير، واللغة وكتب المعاني، ناهلة من الكتب المعاصرة ماخلصت به الآيات من قضايا مستنبطه تفيد في معاني الآيات.

وأقدم ماجمعت متوكلة فيه على الله تعالى على تقصير مني، فالوقت ضيق، والأيام معدودة، وساعاتها محدودة، والأنفاس بالعدد، وليس لها مدد، وأنا أسابق الأيام والليالي قبل أفول شمس حياتي، ويا ليتها كانت عامرة بما يبهج في الآخرة من هذا العلم المفيد والقول السديد.

٣-وفي الختام أوصي إخواني وأخواتي الباحثين والباحثات أن ينهلوامن القرآن الكريم مواد خصبة لبحوثهم، وأن يعملوا أذهانهم في الوقوف على لطائف الكتاب العزيز، وأن يُنيروا للناس دلالات القرآن العظيم وهداياته.

٤-وأن يربطوا بين ذلك العلم الشريف والواقع اليوم للفائدة من مظانه وتأكيد إعجازه فهو الحق الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه الأمين محمدعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

المصادر والمراجع

١. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٢. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر

٣. البرهان فى تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْنَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

٦. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت

٧. الجامع لأحكام القرآن، لأبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٩. التفسير الوسيط، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

١١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير / المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٢. تفسير المراغي / المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

المصادر والمراجع

١٣.أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير / المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري (المتوفى ١٤٣٩هـ) الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

١٤.الوسيط في تفسير القرآن المجيد / المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى ٤٦٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

١٥.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى ٥٤٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

١٦.الصحيح المسند من أسباب النزول / المؤلف: مُقْبِلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (المتوفى ١٤٢٢هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة

١٧.تفسير القرآن العظيم، لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

١٨.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / المؤلف: وهبة الزحيلي الناشر: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)

١٩.الإتقان في علوم القرآن / المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠.زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٢١.المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، لخالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م).

٢٢.تفسير الحجرات – الحديد للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١ هـ) ، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

٢٣.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (١) ، لمؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ – ١٣٩٣) الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).

٢٤.تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ،لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠ هـ.

٢٥.الموسوعة القرآنية، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب ، الطبعة: ١٤٠٥ هـ

٢٦.البحر المحيط في التفسير، لأبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٢٧. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة المؤلف: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر عدد الأجزاء: ١ أعده للشاملة/ عويسيان التميمي البصري [الكتاب مرقم آليا]

مجموعة من المؤلفين

الفهارس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
أهمية البحث	٥
أهداف البحث	٦
منهج البحث	٦
طريقة البحث	٦
خطة البحث	٧
خاتمة المقدمة	٨
الأيات القرآنية	٩
المبحث الأول دراسة سورة الحجرات دراسة تحليلية " وتضمن خمسة مطالب	٩
المطلب الأول: التعريف بسورة الحجرات:	١٠
المطلب الثاني: أسباب نزول السورة.	١١
المطلب الثالث: فضل السورة.	١١
المطلب الرابع: أهم الموضوعات	١١
المطلب الخامس: مناسبة الحجرات لما قبلها وما بعدها.	١٣:١٢
دراسة سورة الحجرات دراسة موضوعية– وتضمن ستة مطالب:	١٤
المطلب الأول: التقدم بين يدي الله ورسوله والأمر بالتأدب معه.	٢١:١٥
المطلب الثاني: التثبت في الأخبار.	٢٢:٢٠
المطلب الثالث: الإصلاح بين المؤمنين والمقاتلين وقتال البغاة.	٢٤:٢٣
المطلب الرابع: الأخوةالإسلامية.	٢٦:٢٥
المطلب الخامس: أخلاق وأداب التعامل مع المسلمين، وفيه:	٢٩:٢٧
أولاً: النهي عن السخرية والنهي عن اللمز والتنابز في الألقاب.	٣٠
ثانياً: النهي عن الظن السيء بالمؤمنين.	٣١
ثالثاً: النهي عن التجسس.	٣١
رابعاً: النهي عن الغيبة.	٣٤:٣٢
المطلب السادس: المنّة لله في هداية الخلق وليس لأحد منّة على رسول الله ﷺلكونه دخل الإسلام وصار مسلمًا.	٢٦:٣٥
الخاتمة	٣٧
المصادر والمراجع	٣٩:٣٨
الفهارس	٤٠